المحاضرة السابعة: علم التاريخ في عصر التنوير عند الغرب

I مصطلح التنوير

مفهوم التنوير:

جاء أول تعريف لمفهوم التنوير في كتاب " الوصية" للأب ميسلي وذلك عام 1725م حيث ذكر " إن نور العقل الطبيعي هو وحده الكفيل بأن يقود الناس إلى الحكمة والكمال العقلي"

نشر ايمانويل كانت في مجلة برلين عدد ديسمبر >عام 1784 (ماهو التنوير) مقالته الشهيرة يقول " ان خروج الانسان عن مرحلة القصور العقلي وبلوغه سن النضج او سن الرشد" كما عرف القصور العقلي علو انه " التبعية للاخرين وعدم القدرة على التفكير الشخصي او السلوك في الحياة او لتخاذ قرار بدون استشارة الشخص الوصي علينا".

إن مصطلح التنوير نشأ في جو ثقافي أفرزته طبيعة الصراع بين الكنيسة والعلم فجاء محملا بالمعاني الآتية:

_ الرفض المطلق للكنيسة وأن آراء رجالها تجسيد للجهل والخرافة ومناقضة للعلم.

_ رفع العلماء في أوروبا لواء الحرب ضد كل ما هو كنسي.

_ فسح المجال أمام العلم والعقلانية ليحل التنوير محل الظلام والعقل محل الخرافة.

_ ظهور نزعة الالحاد وبات معنى القيم والأخلاق كلمات باهتة لا معنى لها ولا مضمون، وارتبط ذلك بمعنى التنوير.

عصر التنوير هو حركة فكرية ثقافية ظهرت في أوروبا في القرن الثامن عشر وأمتدت إلى أنحاء مختلفة من العالم الغربي. يعرف هذا العصر أيضا ب " عصر العقل "، حيث كان يتميز بالدعوة الى استخدام العقل النقدي، والعلم، والملاحظة في فهم العالم والطبيعة و الانسان، والابتعاد عن التفسيرات الجامدة والاساطير. ظهرت افكار التنوير كرد فعل على العصور الوسطى التي استلمت بسيطرة الدين على الحياة الفكرية والسياسة،

فدعا التنوير الى التقدم وتطور المجتمع من خلال تحرير الفكر الفردي، وانتقد الاشكال التقليدية كالمؤسسات الدينية والسياسية المستبدة.

تجلى تاثير هذه الحركة في ميادين مختلفة مثل الفلسفة، والعلم، والسياسة، والاجتماع، والاقتصاد، حيث ظهر توجه نقدي جديد يعلي من شان العقل البشري، ويركز على اهمية المعرفة المبنية على التجربة والادلة.

II أهمية دراسة تطور علم التاريخ في الغرب خلال عصر التنوير

دراسة تطور علم التاريخ في الغرب خلال عصر التنوير تمثل أهمية كبيرة لعدة أسباب، حيث شهد هذا العصر تحولاً فكرياً عميقاً أثر على طريقة فهم الأوروبيين للتاريخ ودوره في حياة الأفراد والمجتمعات. وفيما يلي أبرز النقاط التي توضح أهمية علم التاريخ في الغرب خلال عصر التنوير:

أولا: التحول في منهجية كتابة التاريخ:

1_ خلال عصر التنوير، تأثرت كتابة التاريخ بالنهج العقلاني والنقدي الذي اعتمده فلاسفة التنوير. ومن أبرزهم: **فولتير (Voltaire)** (1694–1778): دعا إلى الابتعاد عن التفسيرات الدينية والأوهام المرتبطة بالمعجزات والتركيز على الأسباب السياسية والاجتماعية والاقتصادية. قدم مفهوم "التاريخ الفلسفي"، الذي يهتم بدراسة التطور الثقافي والحضاري، كما يظهر في كتابه "مقال في الأخلاق وروح الأمم".

مونتسكيو (Montesquieu) (1689–1755): اشتهر بنظرياته عن القوانين والتطور السياسي.

في كتابه "روح القوانين"، ربط التاريخ بالعوامل الجغرافية والمناخية وتأثيرها على تطور المجتمعات وأنظمتها السياسية. كان رائداً في استخدام المنهج المقارن لتحليل تطور المؤسسات عبر التاريخ.

جان جاك روسو:(1712–1778) (Jean–Jacques Rousseau)

ركز روسو على دراسة أصل المجتمعات البشرية ومراحل تطورها. رغم أنه لم يكن مؤرخاً بالمعنى التقليدي، إلا أن أفكاره عن الحرية، والطبيعة البشرية، والعقد الاجتماعي كان لها تأثير كبير على دراسة التاريخ الاجتماعي والسياسي.

2_ تم الابتعاد عن الروايات التقليدية القائمة على الأساطير أو التفسيرات الدينية، ليحل محلها البحث عن الأسباب الواقعية والعوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تشكل مجرى التاريخ.

4_ برزت أهمية المصادر الأولية والوثائق كأدوات أساسية للتحقق من الأحداث وتحليلها بموضوعية.

ثانيا: ربط التاريخ بالعلوم الاجتماعية

1_ اتسعت نظرة الأوروبيين إلى التاريخ ليشمل فهم تطور المجتمعات البشرية، مما ساهم في ربط التاريخ بعلوم مثل الاقتصاد، والجغرافيا، والأنثروبولوجيا.

2_ ظهرت مفاهيم مثل التقدم الحضاري والتطور التاريخي، الحتمية التاريخية، التنوير المستمر ...الخ مما أدى إلى رؤية التاريخ كعملية ديناميكية تسير نحو تحسين أوضاع البشر.

ثالثا: تعزيز الشعور بالهوية القومية

ساهمت دراسة التاريخ في عصر التنوير في تعزيز الشعور بالهوية القومية من خلال البحث في تاريخ الأمم والشعوب، مما قاد لاحقاً إلى ظهور الحركات القومية.

تم التركيز على البحث عن جذور المجتمعات الأوروبية لتفسير الحاضر وصياغة رؤى جديدة للمستقبل.

رابعا: الظاهرة الاستعمارية والرؤية الأوروبية للعالم

في سياق عصر التنوير، تم استخدام التاريخ كوسيلة لتبرير الاستعمار من خلال إبراز التفوق الأوروبي المزعوم، مع تقديم الحضارات غير الأوروبية على أنها "بدائية" أو "متخلفة."

أدى هذا إلى صياغة رؤى تاريخية مشوهة خدمت الأجندات السياسية، لكنها في الوقت نفسه أثارت نقاشات أخلاقية وفكرية حول الاستعمار.

خامسا: تطوير مفهوم التاريخ كعلم مستقل

مع تطور علم التاريخ خلال عصر التنوير، تم ترسيخ مفهومه كعلم مستقل له قواعده ومناهجه، هذا التطور مهد الطريق لنشوء مدارس تاريخية لاحقة، مثل المدرسة الوضعية والتاريخ الاجتماعي، التي استمرت في تطوير علم التاريخ.

III تأثير السمات الفكرية لعصر التنوير على علم التاريخ

أحد الجوانب الأساسية التي طورها عصر التنوير في علم التاريخ هو النقد المنهجي للمصادر التاريخية. هذا النقد كان نتيجة مباشرة لاعتماد مفكري التنوير على العقلانية، المنهج العلمي، والرؤية النقدية لتحليل الماضي.

1_ مفكرو التنوير أدخلوا أسلوبًا نقديًا لتحليل النصوص التاريخية للتأكد من صحتها ومصداقيتها، من خلال التحقق من مصادر الوثائق التاريخية وتحديد ما إذا كانت أصلية أم مزيفة. واستخدام اللغة كأداة لتحليل التطورات اللغوية التي قد تشير إلى أن النص ليس من الحقبة المنسوبة إليه.

2_ بدأ مفكرو التنوير في الفصل بين الروايات الأسطورية التي تحتوي على عناصر خرافية وبين الأحداث التاريخية الواقعية. حيث تم فحص المصادر القديمة، مثل كتابات المؤرخين القدامى (هيرودوت وثوسيديدس)، لفصل الحقائق عن الخرافات والاعتماد على الأدلة الأثرية والمادية لدعم أو دحض الروايات النصية.

3_ اعتمد مؤرخو التنوير على تحليل السياق الاجتماعي والسياسي الذي كتب فيه النص لتفسير محتواه.

4_ أصبح جمع المصادر المختلفة ومقارنتها أداة رئيسية لفهم الحدث التاريخي بشكل أكثر دقة.

5_ شجّع التنوير المؤرخين على تحدي الروايات التي تم تناقلها دون أدلة واضحة و تم التشكيك في الروايات التي تستند إلى التقاليد الشفوية أو الادعاءات الميتافيزيقية التي لا يمكن إثباتها.

6_ تم تطبيق المنهج التجريبي على دراسة الماضي، حيث بدأ المؤرخون بالبحث عن أدلة ملموسة تدعم الروايات التاريخية. يظهر ذلك استخدام الوثائق الأصلية، مثل المراسلات الرسمية والسجلات الحكومية، ودراسة الآثار والنقوش لفهم التاريخ بدلًا من الاعتماد فقط على السرديات.

7_ تم إدخال أسلوب تحليلي يفسر الأسباب والنتائج بدلاً من التركيز فقط على السرد الزمني للأحداث. حيث كان لهذا الاسلوب الأثر في إعادة النظر إلى الأحداث التاريخية كجزء من سلسلة مترابطة، وتحليل القوى الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية التي أثرت في تطورها.

IV الأسس المنهجية لعلم التاريخ في عصر التنوير

أحدث عصر التنوير تحولًا كبيرًا في منهجية علم التاريخ، حيث شهدت تلك الفترة تطور أسس نقدية ومنهجية أثرت بشكل مباشر في دراسة الأحداث وتحليلها. تميزت هذه المرحلة بترسيخ العقلانية كأداة للمعرفة، وظهور الاهتمام بالنقد والتحليل الموضوعي للأحداث التاريخية. وبرزت أسس منهجية متعددة نوردها فيما يلي:

1_ نقد المصادر وتحليلها

_ من أبرز سمات المنهج التاريخي في عصر التنوير هو **نقد المصادر**، حيث أصبحت مسألة توثيق الأحداث ونقدها وتحليلها أولوية للمؤرخين. وتمثل ذلك في مراجعة المصادر القديمة وتقييمها بناءً على مدى مصداقيتها وموضوعيتها، ودراسة السياقات التي كُتبت فيها، وتحليل من كتب المصدر، متى كتب، ولماذا، وبهذا تأسس **المنهج النقدي** في علم التاريخ الذي لا يقبل المصادر التاريخية بشكلها الظاهر، بل يبحث عن الدوافع والخلفيات المحيطة بكتابتها.

2_ البحث عن الأسباب والنتائج (مبدأ السببية)

_ أصبح التاريخ لا يُنظر إليه كحكايات متسلسلة، بل كحركة قائمة على **السببية**، حيث تكون كل حادثة تاريخية نتاجًا لأسباب متعددة، وتنتج عنها آثار معينة، واستخدم المؤرخون فكرة السببية لتحليل الحوادث التاريخية بشكل عميق وفهم الآليات التي أدت إلى حدوثها، مثل العلاقة بين التحولات الاقتصادية والأحداث

السياسية أو الاجتماعية، ساعدت هذه الأسس المنهجية على خلق فهم أوسع للأحداث وربطها بعوامل اقتصادية واجتماعية وسياسية، ما جعل من دراسة التاريخ علمًا تحليليًا يقوم على فهم التفاعل بين الظواهر المختلفة.

3_ الاعتماد على المنهج المقارن

_ أحد الأسس المنهجية الجديدة التي تميز بها عصر التنوير هو **المنهج المقارن** في دراسة التاريخ. حيث بدأ المؤرخون يقارنون بين حضارات ومجتمعات مختلفة، لفهم أوجه التشابه والاختلاف بينها.

_ سمح هذا المنهج للمؤرخين بتحليل الأنماط المشتركة في تطور المجتمعات، مثل التشابه في الأسباب المؤدية لنشوء الحضارات أو تدهورها، ما أتاح تكوين رؤية أكثر شمولية حول تطور الإنسانية.

_ أتاحت المقارنة استنباط القوانين العامة للتاريخ، مثل مراحل تطور الحضارات أو العوامل المشتركة التي تساهم في استقرار الدول أو انهيارها.

4_ التأكيد على الموضوعية في دراسة التاريخ

_ مع عصر التنوير، برزت أهمية **الموضوعية** كركيزة أساسية في دراسة التاريخ، بحيث يسعى المؤرخون إلى دراسة الأحداث من منظور محايد بعيدًا عن التحيز الديني أو القومي.

_ أصبح المؤرخون مطالبين باتباع منهجية عقلانية قائمة على تقديم الأدلة والشواهد دون انحياز، وساهم هذا في تقليل التأثيرات الدينية والسياسية التي كانت تسيطر على سرد التاريخ في القرون السابقة.

_ دفعت الموضوعية المؤرخين إلى التركيز على الحقائق وتحليلها دون إملاءات خارجية، وإلى عرض الأحداث بواقعية بعيدة عن التهويل أو التحريف.